ثقافة وفن: "تراتيل الماء" للقاصة سناء الشعلان .. قصص مختلفة تأخذ بالسرد والمتخيل والمفترض

بقلم: فتح الله حسيني

فتح الله حسيني

تحدد عموم قصص مجموعة "تراتيل الماء" للقاصة الأردنية الدكتورة سناء الشعلان ماهية أحد أهم مصادر الوجود، آخذة، طواعية، وبفنية عالية، من الماء، رمزاً للحياة وبناء ما هو متخيل لا ما هو مفترض في المخيلة الإنسانية، لذلك فأنه لا جدوى من حفظ سيرة مولانا الماء، لأنها تتبخر في الأجواء الصحراوية، وتتجمد في الصقيع، وبالتالي، فأن الماء هو الحياة لتهتف مرحى لسيرة الماء وما أطولها وما أشقاها من سيرة، إذ أن سيرة الماء سيرة ماهو أسمى من كل الهوامش.

تنتقل القاصة، بعد الانتهاء المعمق من تفصيل الماء كضرورة وديمومة، تنتقل الى سيرة الأحزان بطرائق هندسية منوعة، والجة بقوة وسرد محبك فنياً الى مساحة أكثر تأملاً وفسحة في سيّر الحزن المتشعبة والمختلفة بحسب طغيانها، بدءاً من النقطة الأولى الى آخر النقطة التي توحي بأنها نقطة أو علامة فارقة وغارقة في التعثر بردهات الموت، حيث يكون الحزن، كتشخيص، أكبر وأكثر وضوحاً عندما يكون دائرياً فلا يعرف له نهاية ولا بداية، ويتجدد، من حيث يجب أن ينتهي ويكون لعنة مقدسة مغلقة لا تعويذة لفكها عندما يسقط على قلبها ممن تحب دون أن يبغوا ذلك، كإسقاط على الحالة الانسانية الاستثنائية كما في حالات الحب الجميلة، بين صنوف البشر.

تجدد القاصة سناء الشعلان في مجموعتها هذه، الصادرة بدعم من وزارة الثقافة الأردنية وعن دار "الوراق" للنشر والتوزيع في العاصمة الأدرنية عمان، إضفاء الحزن الفردي أو الـ"أنا" الدالة على المعنى المفضي الى السيرة المتخيلة في فحوى قصصها، كما في حالة أو في القصص الواردة في فصل "خرافات أمي"

فهي قصص دالة على المعني بذاته، الى ما هو أكثر بهاءً ونوراً ورونقاً في الحنين أو الاستناد المتعمد الى نيران النوستالجيا الباذخة في الحزن، فهي تعرف، أي الساردة هنا، أن أمها لا تملك مواهب استثنائية وهي سليلة الحرمان والضنك، تجد راحتها في حزنها، فهي لم تحلم بلبس جديد ولا بحذاء أنيق ولا بدمية جميلة لأن دخل العائلة بالكاد يكفي للأكل ولحاجات الحياة.

في قصتها الموسومة بـ "سفر البرزخ" تحيل القاصة قارئها الى مفترقات طرق، أحلاها الحياة ومرّها الحياة أيضاً، في جدلية واضحة بأن البرزخ هو الفاصل في تفصيل الوجود، الوجود فحسب، وجميعنا يعي ما يضمره الوجود من لا وجود وفناء، فتؤكد القاصة في قصتها "نفس أمارة بالعشق" بأنها صاحبة أسعد قلب في الدنيا، وصاحبة الحقيقة المطلقة، نبية الكلمة، وولدت منذورة للعشق".

تظل مجموعة "تراتيل الماء" للقاصة والأكاديمية الأردنية سناء الشعلان تأخذ بالسرد والمتخيل والمفترض حسياً، بعد أن تؤكد عبر قصصها المختلفة ماهية الزمن والمكان وضرورة اختلافهما، لأنها بالنهاية مجموعة حنين وألم وحسرة وفن وأدب جميل، لذلك فأن الأزمان، بحسب الشعلان:

تتشابه أن أرخت بالماء، فالماء متشابه في كل مكان وزمان..

وحدهم الثائرون هم الذين لهم سير مختلفة، وحروب شتى، ووجوه باسمة..

أو بحسب الشاعر السوري أدونيس فأن "الموت هو الكلمة الأخيرة في سِفر الكون، غير أنه سفر لا نهاية له، إذا مات الموت انتهت الحياة.

المجموعة برمتها مؤلفة من إحدى عشرة قصة مختلفة الطول، بالإضافة الى بيبلوغرافيا جامعة عن مؤلفات ونشاطات القاصة والجوائز المختلفة التي حازت عليها د. سناء الشعلان.